مدرسة ريجيس بلاشير

وامتداداتها في الأدب العربي

حورية الخمليشي

أستاذة باحثة كلية الآداب الرباط

ظهر الاستشراق الفرنسي خلال القرن الثامن عشر بترجمة كالان Antoine Gallant لألف ليلة وليلة (1704–1717) وترجمة سفري Claude Savary للقرآن سنة 1783. ولم تعترف الأكاديمية الفرنسية بمفهوم الاستشراق إلا سنة 1738. وحتى يومنا هذا يُطلق الاستشراق على الدراسات المتعلقة بالشرق(1).

وقد ظلّت مواقف النّقّاد من آراء المستشرقين مختلفة ومتنوعة. فمن الباحثين مَن أشاد بفضلهم كطه حسين، وزكي مبارك... ومنهم من تصدّوا للاستشراق كشكيب أرسلان ونجيب العقيقي، وقاسم أمين وغيرهم. وقدّمت مجلة "دراسات عربية" (Etudes arabes) رأيين متعارضين بخصوص المستشرقين لكل من حسين الهراوي، وزكي مبارك. الأول ينتقد فيه الدراسات الاستشراقية بحُجّة أن الأوروبيين لا يعرفون حقيقة الشرق كما أنهم لا يعرفون شيئاً عن الإسلام فأساءوا تصويره وقدموا صوراً بشعة لا علاقة لها بالإسلام. أما الرأي الثاني فهو لزكي مبارك وقد نشر تحت عنوان "نفعهم أكثر من ضررهم". يقول فيه "أُسارع فأقرر أني قبلت هذا العنوان كما اقترحه الهلال، وإلا فمن البداهة أن الاستشراق عمل واقع، وأن المستشرقين طائفة من العلماء الجادين يجب الاتصال بهم، والتعاون معهم، ولسنا من الداعين إلى قطع الأواصر الأدبية والعلمية التي يطّرد نموها بين الممالك والشعوب"(2). يقال عن المستشرقين بأنهم طلائع المستعمرين، كما يقال عنهم؛ ولكن الاستعمار ليس جريمة بل شريعة حيوانية. إلا أن هناك وسائل سلمية لدفع الاستعمار وهي أن تقف على معرفة علومهم وفنونهم وآدابهم بدل مقاطعتهم. وأشار زكي مبارك إلى أن معظم المستشرقين امتهنوا الاستشراق. "ولا يقف حياته على درس الشرق وآدابه وعلومه إلا طائفة قليلة سمت بها الهمة إلى

مطامح الرجال. وهؤلاء يتحولون مع الزمن إلى علماء – بكل ما تؤدي هذه الكلمة من معنى – وتكون النتيجة أن تضعف فيهم النزعة الاستعمارية وتغلب عليهم النزعة العلمية. وأريد بهذا أنهم يصبحون من دعاة المجد الشرقي ومن أنصار حضارته وتقاليده – ودياناته أيضا – فمن عرف شيئا أحبه ومن جهل شيئا عاداه(3).

أعجبني هذا الرأي لزكي مبارك ليس دفاعاً عن المستشرقين ولكن لمايضمّه من اعتراف بما أسداه هؤلاء من خدمة جليلة للأدب العربي. لكن هذا لا ينفي وجود مستشرقين أساءوا فعلاً إلى الإسلام وعلومه وحضارته كغوستاف فون غرونباوم وغيره. إلا أنّ علماء الاستشراق سَمت فيهم النّزعة العلمية عن النّزعة الاستعمارية، وكانوا من أشدّ المعارضين لسياسة فرنسا الاستعمارية، ومن دُعاة الحرّية والاستقلال للبلدان العربية.

أظنّ أن الاستشراق لم يكن يوماً خصماً للمعرفة. وموقف النّقّاد العرب الحذر من الاستشراق هو سبب إغفال الكثير من أعمال هؤلاء. فقد كان مثلاً للمستشرقين الفرنسيين فضلٌ كبيرٌ في تكوين الباحثين، وفي ترجمة العديد من روائع الأدب العربي شعراً ونثراً بالإضافة إلى ترجمة القرآن، كما كان لهم دور ريادي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

وقد ظهرت فكرة تكوين مترجمين لُلغَات الشرق منذ القرن الثامن عشر حيث اقتصرت في البداية على الجانب الدبلوماسي والتجاري إلى أن أُحدِثت مدرسة فتيان اللغة l'Ecole des jeunes de langues سنة 1721، التي اهتمت بتعليم اللغات الشرقية للشعوب العربية والإسلامية، وخاصة اللغة العربية، لخدمة المصالح السياسية التوسعية الفرنسية، وتخريج مترجمين فرنسيين لشغل مناصب مهمة في منطقة المشرق والمغرب العربي. وهناك أيضاً المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية l'Ecole Nationale des Langues Orientales Vivantes. اجتمع فيها كبار علماء الاستشراق الفرنسي، كسلفستر دوساسي Silvestre de Sacy الذي عدّه رفاعة الطهطاوي من أفضل وأشهر المترجمين الإفرنج لمعرفته للغات الشرقية خاصة اللغة العربية(4). وكان له تأثير كبير على علماء الاستشراق في القرن التاسع عشر.

وأسهمت مدارس ومعاهد متعددة في فرنسا في تعليم اللغة العربية كمعهد فرنسا (Collège de France) نسبة إلى فرونسوا الأول (1494–1547). واهتم هذا المعهد بدراسة اللغات المختلفة. ولعل العناية الملكية بهذا المعهد كانت سبباً في تطوره ونجاحه واستمراريته.

كما تُعدّ جامعة السوربون من أهمّ وأعرق الجامعات الفرنسية المهتمة بالدراسات العربية، تخرّج منها العديد من العلماء العرب وغير العرب من مختلف الأجيال. وحالياً توجد في العالم عدّة معاهد

تابعة لها. وكان لجامعة السوربون أيضاً دور كبير في دراسة ونشر الأدب العربي في كل الأقطار العربية، لما قدمه علماؤها وأدباؤها من خدمة للتراث العربي وآدابه وعلومه.

وتمتاز المدرسة البلاشيرية، نسبة لرائدها رجيس بلاشير، بكونها مدرسة أدبيةً متميزةً في تناول التراث العربي القديم دراسةً وترجمةً. وهي ذات إشعاع عالمي في العالم العربي وغير العربي. وإن لم يحض بعض روادها بانتشار عربي يناسب الإضافة العلمية التي أنجزوها. فقد أشرف بلاشير على عدد كبير من الأطروحات العلمية لنيل درجة الدكتوراه التي تقدم بها طلبة فرنسيون وعرب ومن جنسيات مختلفة لنيل الدرجة العلمية بجامعة السوربون. فعمل على تخريج عدد من الطلاب الذين أصبحوا بدورهم أساتذة لغيرهم من الطلبة، خصوصاً وأن فرنسا كانت من أكثر الدول اهتماماً باللغة العربية وآدابها. ويفخر العديد من العلماء أنهم كانوا يوماً ما من طلبته أو من طلبة طلبته سواء من علماء الاستشراق، أو من العلماء العرب الذين أشرف بلاشير على بحوثهم، أو ممّن تلقوا دروسهم على يديه ممّن عاصروه أو ممّن أخذوا العلم على تلامذته أو تلامذة تلامذته والذين هم اليوم من أكبر الدارسين والباحثين في التراث العربي.

وكثيراً ما أبدا هؤلاء تأثرهم بشخصية بلاشير العلمية سواء في مواضيع البحث ومنهجيتها وتصورها وحدودها، أو في عشقهم الفريد للغة العربية ودراسة التراث العربي. وقد أشاد بعضهم بثقافة بلاشير الواسعة، ومحبته الكبيرة للغة العربية، كما تحدثوا عن علاقته الطيبة بطلبته وتشجيعه لهم، ما جعله يحظى بثقتهم ومحبتهم. ويذكر العديد من طلبته أنه لم يبخل على أيٍّ منهم بإبداء رأيٍ أو توجيهٍ أو نصيحةٍ. وقد عُرِف بصرامته العلمية مقابل إنسانيته وانفتاحه على الحياة والصداقة، ومحبته للأدب إلى جانب الموسيقى(5). وقد امتدت مدرسة بلاشير إلى كل أقطار العالم العربي والإسلامي. فكان لهذه المؤسّسات الجامعية إشعاع ثقافي وفكري متميز. وسنقدم نماذج من هؤلاء الأدباء الكبار الذين تأثروا بالحِس اللغوي المنطقي للمدرسة البلاشيرية وجمالية تذوق اللغة العربية شعراً ونثراً(6). لكن يبقى لكلّ واحد من هؤلاء الأدباء شخصيته المتفرّدة في الكتابة والإبداع. فقد حقّقت إنجازاتهم الكبيرة رؤية متميّزة في البحث العلمي، وتكوين جيل من الباحثين.

وقد وُلد رجيس بلاشير في الثلاثين من يونيو سنة 1900م (منتروج Montrouge) بجنوب العاصمة الفرنسية باريس. التحق بالمدرسة الابتدائية وكانت له قدرة فائقة على القراءة لدرجة أنه كان لا يفارق الكتاب، وكان يقرأ بعشق وشغف كبير. هاجر بلاشير مع عائلته إلى المغرب سنة 1915 حيث عمل أبوه بالوظيفة العمومية في الدار البيضاء، والتحق هو بثانوية ليوطي Lyautey — حيث تُدَرَّس اللغة

العربية أيضا- لمتابعة دراسته الثانوية. كان له اهتمام كبير بدراسة اللغات الأجنبية، وكانت تثير اهتمامه بالخصوص اللغات التي تطرح صعوبات نحوية كاللاتينية، والألمانية، والعربية. واهتم على وجه الخصوص باللغة العربية التي كانت موضع تهميش من طرف الأوروبيين(7). وحسب هنري لاووست (Henri Laoust) فقد اهتم كذلك بالعامية (Arabe dialectal) إلا أنه لم يخصص أي دراسة مستقلة لهذه اللهجة(8). كان رجيس بلاشير حقّاً لغوياً وكانت كفاءته العلمية باللغات تزداد سنة تلو أخرى.

وبعد نهاية دراسته الثانوية، توجه بداية إلى الترجمة إلا أنه سرعان ما غير وجهته نحو الدراسات الجامعية نزولا عند نصائح أساتذته وخاصة منهم هنري ماسّي (Henri Massé). لما عُيِّن بثانوية مولاي يوسف بالرباط (Collège islamique de Rabat) وجد نفسه مُهيَّئا للقيام بالدراسات الإسلامية (Islamologie) بمعهد الدراسات العليا المغربية (Institut des Hautes Etudes Marocaines) الذي أُسس سنة 1920م والذي أصدر مجلته "هسبيريس" (Hesperis).

أنهى ريجيس بلاشير دراسته الجامعية، في اللغة العربية وآدابها، بكلية الآداب بالعاصمة الجزائرية حيث حاز على شهادة الإجازة سنة 1922، وكان قد تتلمذ على يد كل من وليام مارسي (Wiliam Marçais)، وهنري ماسّي (Henri Massé)، وخاصة إيفاريست ليفي بروفنسال (E. Lévi-Provençal). وبقي في الجزائر حتى حاز على التبريز في اللغة سنة 1924. تعرف بلاشير كذلك على "كركوبنو Carcopino" وأصبح صديقاً لـــ"هنري باسيت Henry Basset" الذي وظف معارفه اللسانية لإنارة الإتنوكرافيا "Ethnographie" المغاربية، حينئذ وجه بلاشير اهتمامه لتاريخ وجغرافية المغرب. وقد عمل بلاشير أستاذاً بثانوية مولاي يوسف بالرباط (1921- 1929). وناقش سنة 1936 أطروحتي الدكتوراه في الآداب: الأطروحة الرئيسة عن دراسة الشاعر العربي أبو الطيب المتنبي (من القرن الرابع الهجري أو القرن العاشر الميلادي) والتي كان لها تأثير على الشعر العربي بعد موته، أما الأطروحة الثانوية فكانت ترجمة لكتاب "طبقات الأمم" لصاعد الأندلسي.

وقد حاز على كرسي الأستاذية بالمدرسة الوطنية للغات الشرقية بباريس، التي كان يدرّس بها (1935 — 1950). وبعد ذلك دُعيَ بمعية شارل بيلا (Charles Pellat) سنة 1954 للمساهمة في تحرير مجلة أربيكا (Arabica) التي أسسها ليفي بروفنسال (L. Provençal) والتي ترأسها بلاشير بعد موت بروفنسال.

وعمل مديراً بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا. بعد أن تكلّف في نفس الوقت بوحدة التبريز في فقه اللغة والأدب العربي خلال العصر الوسيط. وشغل منصب مدير "معهد الدراسات الإسلامية بأكاديمية باريس" (Institut des études islamiques de l'académie de Paris) (1956 — 1965). كما عمل

في نفس الفترة على تأسيس ورئاسة "جمعية تطوير الدراسات الإسلامية. وعمل مدير "مركز المعجمية العربية" (Centre de lexicographie arabe) التابع للمركز الوطني للبحث العلمي (CNRS) (منذ سنة 1962). وحاز على كرسي الأستاذية في فقه اللغة (Philologie) والأدب العربي للعصر الوسيط بالسوربون.

وكان قد ذاع صيت رجيس بلاشير كعالمٍ كبيرٍ في كل العالم العربي، كما شهد له معاصروه بقيمته العلمية وخاصةً هنري لاووست (Henri Laouste) الذي قال فيه: "كان سيدَ زمانه"(9)، الشيء الذي مكّنه من العضوية بالمعهد الفرنسي لدمشق سنة 1972 تقديراً لمنجزاته.

ويرى "شارل أندري جوليان* (Charles André Julien) أن بلاشير ليس مجرد باحث، ولكنه رجل واسع الثقافة، ففكره النقدي ربطه بـــ"مونتينيي (Montaigne)، "فولتير (Voltaire)، "رينان (Renan) وخاصة "ستاندال (Stendhal). وهكذا كا أندري جوليان كثير الإعجاب بفكر بلاشير وشخصيته. ولم يقتصر بلاشير على اهتمامه بالأدب فحسب، بل اهتم كذلك بالموسيقى، فقد كان يعزف بكمانه "باخ" (Bach)، و"ماهلر" (Mahler)، و"بيتهوفن" (Beethoven)، وكان يؤلّف في بعض الأحيان.

وهكذا كان بلاشير عالماً ومثقفاً وسياسياً كذلك بحكم الفترة التي قضاها في شمال إفريقيا، والتي ناهض فيها السياسة التي انتهجها المستعمر في هذه البلاد، ودافع إلى جانب أصدقاء المغرب من الفرنسيين إلى تغيير رؤية فرنسا للمغرب، وكان عضوا في لجنة "فرنسا- المغرب" التي كان يترأسها "موریاك" (Mauriac) .بمساعدة "بلاشير"، و"ماسينيون"، و"جورج إيزار"، وشارل أندري جوليان(10). وامتاز بلاشير في حياته بدفاعه المستميت عن استقلال شعوب إفريقيا الشمالية، وبتشجيعه على نشر الثقافة العربية، فكان يهيئ ظروف الاستقبال لمثليها: فهو مؤسس جمعية تطوير الدراسات الإسلامية ومركز استقبال طلبة الشرق الأدنى بفرنسا(11).

وقد تأثر بلاشير – ثقافيا، واجتماعيا، وحضاريا – بالبيئة المغربية التي عاش فيها منذ طفولته وهو ابن الخامسة عشر إلى أن التحق بفرنسا سنة 1935 وهو ابن الخامسة والثلاثين إلى درجة أنه أوصى، قبل وفاته، بأن يُكْفَنَ بجِلْبَابه المغربي "إشارة إلى عمق الصلة الروحية التي كانت تربطه بأهل المغرب وبيئته حيث يعود الفضل الأكبر إليهما في اتجاهه إلى دراسة الإسلام والعربية، واختياره الاستعراب سبيلا له في الحياة" كما جاء في رسالة بعث بها تلميذه أندري ميكيل (André Miquel) إلى زميله الدكتور محمود المقداد(12).

ويرجع الفضل في جمع مقالات بلاشير إلى مبادرة بعض تلامذته، نذكر من بينهم "أندري ميكيل"(André Miquel)، و"جيرار تروبو"(Gérard Troupeau)، و"أ. ريموند"(A. Remond). وقد كلف السيدة "إيف باري" (Mme Eve Paret) صديقة زوجته لجمع أعماله قصد نشرها في "مختارات أدبية" كُتب له أن يراجعها قبل وفاته، بعد أن رافقته طوال محنته، كما سهرت على إدارة أعماله إلى أن عاجلته المنية في السابع من أغسطس 1973(13)، بعد معاناة من الوحدة وفقدان البصر(14).

ويذكر محمود المقداد بأن بلاشير شغل نفسه في آخر حياته بدراسة لم يتمكن من نهائها عن بشار بن برد "وكأنما أراد بذلك أن يقدم لنا شيئا من معاناته العمى بإسقاطها على حياة بشار الأعمى، أو ليجد عزاءً عن عماه بتذكر هذا الشاعر العربي الذي وُلِد على العمى كانت له حياة حافلة مليئة بالنشاط والحيوية والشعر والنثر"(15).

هذه بعض الخطوط العريضة لحياة بلاشير، أما مؤلفاته وأبحاثه فعديدة وغزيرة في شتى المجالات الأدبية والفكرية نذكر منها ترجمته لمعاني القرآن الكريم في ثلاثة أجزاء، وتأليفه لتاريخ الأدب العربي منذ نشأته إلى آخر القرن الخامس الميلادي في جزأين، وترجمته ودراسته لشاعر العروبة أبو الطيب المتنبي، وتأليفه لنحو اللغة العربية، ووضعه لمعجم عربي –فرنسي– إنجليزي مع شويمي ودينيزو. وتأليفه لقواعد نشر وترجمة النص العربي، بالإضافة إلى العديد من المؤلّفات والمساهمات في النثر والشعر والتاريخ والجغرافيا وعلم الأمثال وعلم الموسوعات والمعاجم وغيرها.

وتنقّل المستشرقون الفرنسيون الذين ينتمون للمدرسة البلاشيرية ببلدان عربية متعدّدة. فقد عاش بلاشير في المغرب والجزائر، وازداد شارل بيلا في الجزائر ثم انتقل مع عائلته إلى المغرب، وأقام سوفاجي بسوريا، وعاش أندري ميكيل في سوريا وبيروت، فتركوا بصمتهم واضحة في العديد من الجامعات العربية. ساعدهم على ذلك تكوينهم في الاستشراق بالسوربون، وضلوعهم في اللغة العربية وإلمامهم بالتراث العربي القديم شعراً ونثراً، وإلمامهم بالعديد من اللّغات، وخاصة اللاتينية والفارسية والتركية والإنجليزية والألمانية، وشغل مناصب علمية مهمّة كالتّدريس بجامعة السوربون وبالمعهد الفرنسي للدراسات العربية (Collège de France)، وإدارة أكبر المعاهد والمؤسّسات الثقافية الفرنسية والعربية. فقد كان جون سوفاجي (Jean SAUVAGET) من أهمّ المترجمين للنّصوص العربية القديمة وتحقيقها، إلى جانب اهتمامه بالدراسات الإسلامية كما كان مؤرّخاً وعالم آثار. ومن مؤلفاته: الفهرس التاريخي لعلم النقوش العربية(في عشر مجلدات ظهرت في القاهرة سنة 1930 وما بعدها)

(Répertoire chronologique d'épigraphie arabe) بالتعاون مع كومب (Et.Combe) وفييت (G. Wiet)، بالإضافة إلى العديد من الدراسات والترجمات.

ويُصنّف أندري ميكيل (André Miquel) من أهم العارفين والمُلمِّين بالدراسات العربية الإسلامية. وقد عمل في عدة بلدان عربية وإسلامية. من أهمّ مؤلّفاته الإسلام وحضارته، وقد نال عليه جائزة الأكاديمية الفرنسية. كما كان شاعراً ومترجماً ومحقّقاً. كان أستاذاً بالمعهد الفرنسي (Collège de France) كما كان مسؤولاً عن الخزانة الوطنية بباريس. درس اللغة العربية على يد ريجيس بلاشير، والذي كان مشرفاً له على رسالة الدكتوراه حول موضوع "الجغرافيا البشرية للعالم الإسلامي حتى منتصف القرن الحادي عشر للميلاد". أما أطروحته المكملة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب فهي ترجمة جزء من كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" للمقدسي.

أما شارل بيلا Charle Pellat فقد ارتبط اسمه بالموسوعة الإسلامية. عمل بمدرسة اللغات الشرقية الحية سنة 1951 خلفاً لريجيس بلاشير، ثم التحق بالسوربون. كان شديد التأثّر ببلاشير، وماسينيون، وبصديقه جاك بيرك. وكان لشارل بيلا اهتمام كبير بالعربية والأمازيغية إلى جانب اهتمامه بعلم الفلك، والشعر، وتاريخ الأدب، والجغرافيا وغيرها من الفنون. وقد عُرف بغزارة مؤلّفاته الأدبية والنّقدية. من أهم أعماله نذكر ما يقرب من ثلاثين مؤلفاً حول الجاحظ وأهمها "الوسط البصري وتكوين الجاحظ"، وترجمة "البخلاء" التي حاز بها على جائزة بوردان (le prix Bordin) من الأكاديمية الفرنسية سنة 1953، وشرح وترجمة "مروج الذهب" للمسعودي. ويتكون هذا العمل، الذي دام سبع عشرة سنة (1962–1979)، من خمسة أجزاء لنصوص عربية، وموسوعتين من التعليق، وترجمة مكونة من ثلاثة أجزاء. وساهم شارل بيلا في تأليف المعجم الفرنسي– العربي– الأنجليزي الذي بدأه ريجيس بلاشير. كما أن اسمه صار مرتبطاً بالموسوعة الإسلامية.

ولعلّ أهم من ترجم مؤلّفات بلاشير من طلبته هو الأديب الكبير إبراهيم الكيلاني، فهو من جملة الطلبة السوريين الذين أوفدوا إلى فرنسا لتحضير الدكتوراه بجامعة السوربون بباريس. وبعد عودته إلى سوريا شغل منصب مدير التأليف والترجمة والنشر. له مؤلّفات عديدة من بينها ترجمة كتاب تاريخ الأدب العربي لبلاشير في ثلاثة أجزاء، كما ترجم لبلاشير كتاب "أبو الطيب المتنبي"، وترجم كذلك كتاب "الجاحظ" لشارل بيلا. ولإبراهيم الكيلاني مؤلّفات غزيرة في تحقيق التراث والدراسات الأدبية، والترجمة، وتاريخ الفن، والسينما، والمسرح.

ونذكر أيضاً المفكّر والأديب والشاعر الجزائري الأصل، المغربي المولد، جمال الدين بن الشيخ. عاش بمدينة الدار البيضاء ووجدة، ودرَّس الأدب العربي بكلية الآداب بالجزائر. كما عمل أستاذاً بجامعة السوربون، ودرّس كذلك "بكوليج دو فرانس" حتى تقاعد سنة 1997م. وكان موضوع أطروحته كتاب "الشعرية العربية"، الذي حرص محمد بنيس على ترجمته ونشره. وقد أنجز الترجمة كلّ من مبارك حنّون، ومحمد الوالي، ومحمد أوراغ. وظل هذا الكتاب ولا يزال مرجعية ومثار اهتمام لجيل من الطلبة والباحثين. وكان محمد بنيس من طلبة جمال الدين بن الشيخ الذي كان مشرفاً له على رسالة دكتوراه الدولة في موضوع "الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها". ولجمال الدين بن الشيخ مؤلّفات متعدّدة نذكر منها جمعه وترجمته لكتاب "الإسراء والمعراج" تحت عنوانه الأصلي "الحلم الوهاج والحديث الهياج بمعجزة الإسراء وقصة المعراج"، وترجمته لخمريات أبي نواس والمتنبي، وترجمته إلى جانب صديقه أندري ميكيل André Miquel وأخيه التهامي بن الشيخ لكتاب "ألف ليلة وليلة".

ويُعدّ الأديب السوري صالح الأشتر من أهمّ الأدباء والنقاد، الذين عملوا على تحقيق الكثير من الأعمال الأدبية. فقد أشرف بلاشير على أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب عن موضوع "شاعر عربي من القرن الثالث الهجري البحتري: حياته وإنتاجه" سنة 1954. درّس صالح الأشتر بجامعة دمشق وبجامعة محمد الخامس بالرباط ما يقرب من أربعة عشر سنة إلى نهاية 1978م. من مؤلّفاته أندلسيات شوقي، وكتاب ألوان من التصحيف والتحريف.

أما الأديب التونسي حمادي صمود فيعتبر من أكبر البلاغيّين العرب، فهو مترجم، وأديب، وناقد متميّز. من مؤلّفاته "التّفكير البلاغي عند العرب"، وهي أطروحته التي ناقشها بإشراف ريجيس بلاشير وفيها يقدّم قراءة متفرّدة للجاحظ أو ما سمّاه (بالحدث الجاحظي)، وله أيضاً كتاب "الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة"، وكتاب "تجليات الخطاب الأدبي"، وكتاب "الأدب عند العرب". ساهم حمادي صمود في مشروع دائرة المعارف الكونية الذي كان يشرف عليه الأستاذ جمال الدين بن الشيخ بالاشتراك مع شارل بيلا وأندري ميكيل وهاشم فودة. وحصل على جائزة ابن خلدون سنغور للترجمة في العلوم الإنسانية مع عبد القادر المهيري عن ترجمة "المعجم الموسوعي الجديد في علوم اللغة" من تأليف جون ماري شيفر وأزوالد دوكرو سنة 2011م.

ومن أكبر رواد المدرسة البلاشيرية أيضاً الأديب السوري أمجد الطرابلسي. درس بالسوربون ويشترك مع أستاذه بلاشير في العلاقة الروحية التي تربطهما معاً ببلد المغرب الذي قضيا فيه زمناً طويلاً. المغرب الذي احتضن بلاشير وهو طفل في سن الخامسة عشرة حينما هاجر مع عائلته من فرنسا إلى

الدار البيضاء، ثم الرباط بثانوية مولاي يوسف، احتضن أيضاً أمجد الطرابلسي في عز شبابه وعطائه العلمي. وشاءت الصدف أن تنتهي حياة أمجد كما انتهت حياة بلاشير في باريس.

وقد أنجز الطرابلسي أطروحته بإشراف ريجيس بلاشير حول موضوع "نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس للهجرة" والتي ترجمها إدريس بلمليح إلى اللغة العربية. وقد شغل مناصب علمية متعدّدة كما شغل منصب وزير التعليم العالي في دولة الجمهورية العربية المتحدة سنة 1961. وبعد استقالته رحل إلى المغرب سنة 1962م. فكان أول من عمل على فتح آفاق الأدب المقارن في الجامعة المغربية الذي حاول أن يُرسيه قبل ذلك شارل أندري جوليان كأول عميد لهذه الجامعة بعد الاستقلال. وقد قضى أمجد الطرابلسي في المغرب ثلاثين سنة في تكوين أجيال من الباحثين من الشباب المغربي. وأشرف على عدة بحوث الإجازة والدراسات العليا، والدكتوراه في كل من الرباط وفاس، ومراكش، فتبوأ مكانة عظيمة في نفوس طلبته ومحبيه. له مؤلّفات متعدّدة في الترجمة والنقد والأدب. كما كان شاعراً مبدعاً وديوان "كان شاعراً" هو عنوان أول مجموع شعري نشره أمجد الطرابلسي سنة 1993. فقد كانت صفة الشاعر أقرب إلى وجدانه وذاتيته. ويشير في تقديمه لهذه المجموعة عن سبب اختياره لهذا العنوان، فيذكر أنه حينما كان أستاذاً في كلية الآداب بجامعة دمشق في مرحلة الخمسينيات زار معرضاً أقامه الطلبة لرسومهم الكاريكاتورية، فوجد رسماً له كُتِب تحته "كان شاعراً". ومن تلك اللحظة قرر أن يجعل هذا عنواناً لمجموعته الشعرية. وهكذا كان ولكن بعد أربعين عاماً(16).

ويحمل الديوان قصائد رائعة في مواضيع مختلفة نذكر منها همزية الفداء، وهمزية الإسراء، وغُربتان، وأنتِ وأنا، وأرزة لامرتين، وخيال أمي غاب، ومراكش الحبيبة... وقصيدته "مراكش الحبيبة" التي كتبها سنة 1989م تدل على عمق العلاقة الروحية التي تربطه بالمغرب وأهل المغرب، البلد الذي أقام فيه إحدى وثلاثين سنة. فقد كتبها في باريس ليلة عيد الميلاد، وقدّم لها بقوله: "حنينٌ من باريس، ليلة عيد الميلاد. والأرض جمَّدها الصقيع إلى دفء مراكش"، يقول(17):

في مَطْلَع العامِ الجديدْ / وَ فَرحَةِ الميلادْ / و منْ ضِفافِ السّينْ / ... / تَهزُّني الأَحْلامُ والأشواقْ / إلى سفُوح الأَطلسِ العملاقْ / الجَبَلِ الّذي يُظَلّل الحبيبةْ: / مُرّاكِشَ الحمراءْ / .../ وأنّني هناك في حَمَائلَ النّخيلْ / بين الروابي الخُضْرِ والمساربِ العَشيبَهْ / أعانقُ الحبيبهْ:/ مُرّاكشَ الحمراءُ. وهكذا ظلت ذكرى أمجد عالقة بأبناء دفء الأمة التي وهبها محبته وجهده وعطاءه. وقد تخرّج على يديه ثلة من أدباء المغرب الذين تبوأ في نفوسهم مكانة عظيمة من بينهم محمد بن شريفة، وأحمد المعدّاوي، وإدريس بلمليح، وأحمد بوحسن، وإدريس ناقوري وغيرهم. هذا بالنسبة لأمجد الطرابلسي ناهيك عن امتدادات

هذه المدرسة في كل أرجاء الوطن العربي عن طريق طلبة بلاشير كأندري ميكيل وشارل بيلا وجمال الدين بن الشيخ وحمادي صمود وإبراهيم الكيلاني وصالح الأشتر وغيرهم. ولهؤلاء أعمال فكرية وعلمية وإبداعية متميزة، سواء في الدراسات النقدية أو البلاغية أو الفكرية، وكذلك التحقيق والترجمة، بالعودة إلى الموروث الشعري والأدبي عند العرب، والاهتمام بالتاريخ، والجغرافيا، وعلم الموسوعات والمعاجم. وذلك بالاعتماد على قواعد ومناهج حديثة في ترجمة ودراسة النص العربي القديم تطبعها رؤية عاشقة لقراءة الحضارة العربية، وتعريف العالم الأوروبي بالتراث العربي الإسلامي.

هوامش

[1] Daniel Reig, Histoire de l'Islam et des musulmans en France du moyen âge à nos jours,-1
l'orientalisme savant, Editions Albin Michel, 2006, p : 601.

Revue Etude arabe, Zaki Moubarak, n° 83, 1992, p: -2

Ibid, p : 24. -3

4- محمود فهمي حجازي، أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي، دار غريب إبداع، القاهرة، 1994، ص: 218.

Régis blachère , Analecta, Institut Français de Damas, A. Rymond , Damas, 1975, p : IX -5

6-حورية الخمليشي، ترجمة النص العربي القديم وتأويله عند ريجيس بلاشير، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر ودار الأمان، المغرب، ، 2010. ص. 156

Régis blachère , Analecta, Institut Français de Damas, A. Rymond , Damas, 1975, p : IV- VIII. -7

M. Henri Laoust, Note sur la vie et les travaux de R. Blachère, Académie des insertions et Belles- -8
Institut de France, Paris, 1977, p : 4. Lettres,

M. Henri Laoust, Ibid, p : 5. -9

* شارل أندري جوليان من علماء الاستشراق الفرنسي (1891-1991). وانتقل في سن الخامسة عشر إلى الجزائر مع عائلته. كان أستاذاً بالجامعة وعضواً بالحزب الاشتراكي الفرنسي. وبعد استقلال المغرب سنة 1956 كلّفه الملك محمد الخامس بإنشاء الجامعة المغربية حيث كان أول عميد لكلية الآداب بالرباط وكان يدرِّس في نفس الوقت بالسوربون.

Régis Blachère, Analecta, Institut Français de Damas, Rymond,Damas, 1975, A. p : VIII- XI. -10

Encyclopædia Universalis, THESAURUS – INDEX. A – DELIBES. Encyclopædia Universalis, -11
Editeur à Paris, 2002, p : 542.

9- قواعد تحقيق المخطوطات وترجمتها، ريجيس بلاشير وجان سوفاجي، ترجمة محمود المقداد، دار الفكر المعاصر دمشق، ودار الفكر بيروت، 1988، ص: 28.

Régis Blachère, Analecta, Institut Français de Damas, Damas, 1975, A. Rymond. p :IV. -13

Encyclopædia Universalis, THESAURUS – INDEX. A – DELIBES. Encyclopædia Universalis, -14
Editeur à Paris, 2002, p : 542.

15-محمود المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، عالم المعرفة، عدد 167، الكويت، نونبر 1992، ص. 269-270.

16- أمجد الطرابلسي، كان شاعرا، منشورات المجلس القومي للثقافة العربي، ط. 1، 1993، ص.7.

17- المرجع نفسه، ص. 18